الجامعة المستنصرية

كلية الآداب المادة : مناهج المفسرين

قسم اللغة العربية

منهج التفسير بالمأثور

في محاضرة سابقة عرَفنا التفسير بأنه العلم الباحث عن تبيين دلالات الآيات القرآنية وإزالة الخفاء عن دلالة الآية على المعنى المقصود ،وعرَفه الزركشي (ت٧٩٤ ه) بقوله: هو علم يُعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكمه. وكان الرسول هو المعلم الأول لهذا الكتاب الإلهي ،قال تبارك وتعالى : "وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " (النحل ٦٤) فلفظة (لتبيَن) إشارة الى أنَ القرآن يحتاج الى تبيين، والذي يكشف أيضاً عن حاجة القرآن الى التبيين أمور نذكر منها ما يلي:

١- إنَ أسباب النزول للآيات القرآنية تُعد قرائن حالية أعتمد المتكلم عليها في إلقاء كلامه بحيث لو قطع النظر عنها لصارت الآية مجملة غير مفهومة.

٢- إنَ القرآن مشتمل على مجملات كالصلاة والصوم والحج لا يفُهم منها إلا معاني مجملة، غير أنَ السنَة كافلة لشرحها ،فلا غنى للمفسر عن الرجوع إليها في تفسير المجملات.

٣- إنَ القرآن يشتمل على آيات متشابهة غير واضحة المراد ، وإنما يُعلم المراد منها بإرجاعها الى المحكمات حتى تُفسَر بها ، فكان الرسول يجمع بينها ليبين المعنى المراد.

والتفسير بالمأثور أو التفسير الروائي أحد المناهج الشائعة في تفسير القرآن ، وجاءت تسمية المصطلح من لفظة (الأثر)، يقول الخليل الفراهيدي(ت ١٧٠ ه): " الأثر :بقية ما يُرى من كل شيء" ويقول الراغب الأصفهاني : أثرت العلم : رويته". ومنه حديث مأثور ، أي ينقله خلف عن سلف ، وسنن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) : آثاره ، فالمأثور هو الكلام المروي المذكور عن الآخرين ، الذي ينقله خلف عن سلف ، ومن هنا ورد مصطلح التفسير بالمأثور ، وتعريفه : هو التفسير الذي يعتمد الأقوال المأثورة عن النبي وأهل بيته وصحابته والتابعين.

وكان هذا النوع من التفسير أولها ظهوراً في عملية التأليف والتدوين ، فدونوا السنَة التي جاءت مُبينة لكتاب الله أو بما رُوي عن أئمة أهل البيت والصحابة والتابعين لأنهم كانوا أعلم الناس بكتاب الله بعد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .ومن أبرز التفاسير التي سارت على وفق منهج التفسير بالمأثور :

١- جامع البيان في تفسير القرآن / لابن جرير الطبري (ت ٣١٠ ه) ويقع تفسيره في ثلاثين جزءاً ، وطريقته في التفسير تتجلى في أنه إذا أراد أن يُفسر آية من القرآن يذكرها ويستشهد بما أُثِر من السُنة النبوية ،ويذكر السند عن طريق الرواية المنقولة ، والمثال على ذلك قوله تعالى :" إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ " (آل عمران٤٥) يقول الطبري: ((فتأويل الكلام:

وماكنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة لمريم: يا مريم... وقد قال قتادة : إنَ (الكلمة) التي قال الله عزَ وجل : " بِكَلِمَةٍ مِنْهُ " هو قوله (كن). حدثنا ابن وكيع قال ،حدثنا أُبي عن عكرمة عن أبن عباس قال :عيسى هو الكلمة من الله... حدثنا أبن البرقي قال ،حدثنا عمرو بن أبي سلمى قال ،سعيد : إنما سُمي بالمسيح لأنه مُسِح بالبركة)). فالطبري أستعان بالروايات المأثورة في تفسير النص القرآني.

٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور / السيوطي (ت ٩١١ ه) و هو كتاب من كتب التفسير الضخمة بل يعد موسوعة تفسيرية ضخمة، ألفه الحافظ جلال الدين السيوطي ، حشد فيه المؤلف ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين من تفاسير لآيات وسور القران، مقتصرا في الرواية على متون الأحاديث حاذفا منها أسانيدها، ويدون كل ما ينقله بالعزم والتخريج إلى كل كتاب رجع إليه، جمع جلال الدين السيوطي في كتابه ما ورد عن الصحابة والتابعين في تفسير الآيات، وضم لها ما ورد فيها من الأحاديث المخرجة من كتب الصحاح والسنن وبقية كتب الحديث، وحذف الأسانيد للاختصار، مقتصرا على متن الحديث .

لكن السيوطي سرد الروايات عن السلف في التفسير ولم يعقب عليها، ولم يرجح من بين الأقوال القول الأصح، ولم يتحرَ الصحة فيما جمع في هذا التفسير، ولم يبين الصحيح من الضعيف، مما يجعل الكتاب محتاجا إلى تنقيح وتحقيق وتمييز الصحيح من الضعيف والمثال على ذلك تفسيره لقوله تعالى : " هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ" (آل عمران٣٨) يقول السيوطي :

((أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : لما رأى ذلك زكريا ؛ يعني فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، عند مريم قال : إن الذي يأتي بهذا مريم في غير زمانه قادر على أن يرزقني ولدا . فذلك حين دعا ربه .

وأخرج إسحاق بن بشر ، وابن عساكر ، عن الحسن قال : لما وجد زكريا عند مريم ثمر الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء، يأتيها به جبريل قال لها : أنى لك هذا في غير حينه؟ فقالت : هذا رزق من عند الله يأتيني به الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . فطمع زكريا في الولد، فقال : إن الذي أتى مريم بهذه الفاكهة في غير حينها لقادر أن يصلح لي زوجتي ويهب لي منها ولدا . فعند ذلك دعا زكريا ربه، وذلك لثلاث ليال بقين من المحرم ، قام زكريا فاغتسل، ثم ابتهل في الدعاء إلى الله، قال : يا رازق مريم ثمار الصيف في الشتاء وثمار الشتاء في الصيف هب لي من لدنك . يعني : من عندك ذرية طيبة . يعني : تقيا .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن السدي : ذرية طيبة . يقول : مباركة)).

ومن التفاسير الأخرى التي أتسمت بمنهج التفسير بالمأثور:

١- تفسير بحر العلوم للسمرقندي (ت٣٧٥ ه) ٢ - تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (ت ٤٢٧ ه) ٣- تفسير معالم التنزيل للبغوي (ت ٥١٦ ه)

٤- تفسير المحرر الوجيز لأبن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ ه) ٥- تفسير القرآن العظيم لأبن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ ه)